الغزو التتري للمشرق الإسلامي في كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير

الدكتورة: مريم علي مبارك الكندي
جامعة الشارقة – الامارات العربية المتحدة

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٣/١٢/١٤
تاريخ القبول: ٢٠٢٣/١٢/٢٥

الملخص

يهتم هذا البحث بدراسة ما كتبه المؤرخ ابن الأثير حول الغزو المغولي / التتري للعالم الإسلامي، ووصفه الدقيق لهول هذا الغزو وشدته على المسلمين، وسرعة انتشاره في البلاد الإسلامية، وبيان الأسباب الظاهرة أو الخفية التي كانت سببا في هذا الغزو، وتكلم عن أصلهم وديانتهم وأساليبهم الهمجية في القتال، ويبدأ البحث بتقديم تعريف بالمؤرخ ابن الأثير، ويعقبه التعريف بالمغول / التتر، ثم يليه استعراض ما ذكره المؤرخ في كتابه الكامل في التاريخ عن هذا الغزو.

The Tatar invasion of the Islamic East in the book Al-Kamil fi Al-Tarikh by Ibn Al-Atheer

Dr. Maryam Ali Mubarak Al Kindi
University of Sharjah - United Arab Emirates

Abstract

This research is concerned with the studies of the historian Ibn-Al Atheer about the Mongol / Tatar invasion of the Islamic world , and a precise description of the horror of this invasion and it's severity on the muslims and the speed of its propagation in the Islamic world , the explanation of the visible and the invisible reasons that caused this invasion .

He mentioned their origin, their religion and their savage methods of fighting .

This research begins with an introduction about the historian Ibn-Al Atheer followed by an introduction about the Mughals / Tatars and then it is followed by a review of what the historian mentioned in his entire book about this conquest.

توطئــة

سطر لنا ابن الأثير بين دفتي كتابه الكامل في التاريخ أحداثاً لغزو لن ينساه العالم بأسره، ولن تنساه الأمة الإسلامية جمعاء، هذا الغزو هو الغزو التتري للديار الإسلامية، الذي خلف آثارا جساما على البلاد الإسلامية، التي حل بها غازيا مستبيحا لأرواح ساكنيها ومدمرا لممتلكاتها، فعمل على إشاعة الخوف والخراب، أينما حل أو ارتحل، وكأنه ذاهب إلى الانتقام أكثر منه إلى الاحتلال.

وهذه الورقة البحثية سوف تتحدث عن التعريف بابن الأثير؟ ومن هم التتار؟ وكيف كان قدومهم بمثابة النكبة العامة على العالم الإسلامي؟ وإيذانا بزوال الخلافة العباسية وسقوط عاصمتها بغداد؟

ومن خلال كتابات المؤرخ ابن الأثير سأقوم بتسليط الضوء على هذا الحدث الجلل، وجعلت نصوص ابن الأثير في كتابه "الكامل في التاريخ" هي المادة الأساسية فيما سيتم دراسته واستعراضه، لمعرفة حقيقة هذا الغزو المدمر للبلاد الإسلامية.

فالمؤرخ ابن الأثير عاصر تلك النكبة، وتصدى للكتابة عنها بعد فترة من الزمن، بعد أن منعه هول المصيبة في البداية عن الكتابة عنها، واستعراض أحداثها، وقد ذكر المؤرخ ذلك السبب في تردده حول وصف وكتابة ما رأى، وعبر عنه بعظم المصيبة وهول الفاجعة، إذ أصابه الذهولُ مما روي له، ووصلت به الصدمة إلى أن تجمّد القلم في يده عن الكتابة، ولكن الحمد لله لم تتجمد ذاكرته فأبدع في الكتابة والوصف، ناقلا لنا أحداثاً تاريخية مهمة كان شاهدًا عليها.

مجلة الدراسات التاريخية
Journal of Historical Studies

من هو ابن الأثير؟:

هو أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانيّ الجزري، الملقب بـ"عز الدين ابن الأثير" (٥٥٥-٦٣٠هـ/١١٦٠-١٢٣٣م)، ولد في النصف الثاني من القرن السادس الهجري من عام ٥٥٥هـ/١١٦٠م في جزيرة ابن عمر[١]، وإليها نسبه بقولهم: "الجَزَرِيّ"، وسكن الموصل، وتجوّل في البلدان، وعاد إلى الموصل، فكان منزله مجمع الفضلاء والأدباء، وتوفي بها سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٣م، قال ابن خلكان (ت ٦٨١هـ) في وفيات الأعيان: "وسكن الموصل وسمع بها من أبي الفضل عبد الله أحمد الخطيب الطوسي ومن فيه طبقته، وقدم بغداد مراراً حاجاً ورسولاً من صاحب الموصل وسمع بها من الشيخين أبي القاسم يعيش بن صدقة الفقيه الشافعي وأبي أحمد عبد الوهاب بن علي الصوفي وغيرهما، ثم رحل إلى الشام والقدس وسمع هناك من جماعة، ثم عاد إلى الموصل ولزم بيته منقطعاً إلى التوفر على النظر في العلم

والتصنيف، وكان بيته مجمع الفضل لأهل الموصل والواردين عليها، وكان إماماً في حفظ الحديث ومعرفته وما يتعلق به، وحافظاً للتواريخ المتقدمة والمتأخرة، وخبيراً بأنساب العرب وأخبارهم وأيامهم ووقائعهم"[٢].

وقال الذهبي (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م): "وكان إماما، علامة، أخباريا، أديبا، متفننا، رئيسا، محتشما، كان منزله مأوى طلبة العلم، ولقد أقبل في آخر عمره على الحديث إقبالا تاما"[٣].

نهل ابن الأثير من علوم مدينة الموصل التي انتقل إليها عام ٢٧٩هـ، ثم ما لبث أن رحل في طلب العلم إلى بغداد حاضرة الخلافة العباسية، ليتتلمذ على يد علماءها، وينهل من علومها[٤].

صنف كتبا قيمة أهمها "الكامل في التاريخ"، ورتبه على حسب السنين، حتى بلغ فيه عام ٦٢٨هـ، وله "أسد الغابة في معرفة الصحابة" مرتب على حسب الحروف، و"تاريخ الدولة الأتابكية"، و"الجامع الكبير" في البلاغة، وتاريخ الموصل ولم يتمه، واختصر كتاب الأنساب للسمعاني وهذبه[٥].

نشأ ابن الأثير في أسرة محبة للعلم، وله اثنان من الإخوة، اشتهروا بفروع علمية جليلة، وهما: أخوه أبو الفتح نصر الله الملقب بضياء الدين (٥٥٨-٦٣٧هـ/١١٦٣-١٢٣٩م) الذي اشتهر بالأدب، وألف كتابا سماه: (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر)، وأخوه الثاني هو: المبارك مجد الدين، أبو السعادات (٥٤٤-٦٠٦هـ /١١٥٠-١٢١٠م)، برع هو الآخر في علوم الحديث وله كتاب: (النهاية في غريب الحديث والأثر)، وكتاب آخر هو: (جامع الأصول في أحاديث الرسول)[٦].

كان ابن الأثير مؤرخا لامعا في سماء عصره، أحب علم التاريخ وعكف على دراسته وتدوينه[٧]، وهو يقول في مقدمة كتابه الكامل: "أما بعد... فإني لم أزل محبا لمطالعة كتب التواريخ ومعرفة ما فيها مؤثرا للاطلاع على الجلي من حوادثها وخافيها، مائلا إلى المعارف والآداب والتجارب المودعة في مطاويها، فلما تأملتها رأيتها متباينة في تحصيل الغرض يكاد جوهر المعرفة بها يستحيل إلى العرض، فمن بين مطول قد استقصى الطرق والروايات، ومختصر قد أخل بكثير مما هو آت، ومع ذلك فقد ترك كلهم العظيم من الحادثات والمشهور من الكائنات، وسود كثير منهم الأوراق بصغائر الأمور التي الإعراض عنها أولى، وترك تسطيرها أحرى"[٨].

وقد اطلع على كتب من سبقوه في الكتابة التاريخية أمثال الطبري، فقال عن ذلك: "فابتدأت بالتاريخ الكبير الذي صنفه الإمام أبو جعفر الطبري إذ هو الكتاب المعول عند الكافة عليه، والمرجوع عند الاختلاف إليه، فأخذت ما فيه من جميع تراجمه لم أخل بترجمة واحدة

منها، وقد ذكر هو في أكثر الحوادث روايات ذوات عدد، كل رواية منها مثل التي قبلها أو أقل منها، وربما زاد الشيء اليسير أو نقصه، فقصدت أتم الروايات فنقلتها، وأضفت إليها من غيرها ما ليس فيها، وأودعت كل شيء مكانه، فجاء جميع ما في تلك الحادثة على اختلاف طرقها سياقا واحدا على ما تراه. فلما فرغت منه وأخذت غيره من التواريخ المشهورة فطالعتها، وأضفت منها إلى ما نقلته من تاريخ الطبري ما ليس فيه، ووضعت كل شيء منها موضعه، إلا ما يتعلق بما جرى بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فإني لم أضف إلى ما نقله أبو جعفر شيئا، إلا ما فيه زيادة بيان أو اسم إنسان أو ما لا يطعن على أحد منهم في نقله، وإنما اعتمدت عليه من بين المؤرخين إذ هو الإمام المتقن حقا الجامع علما وصحة اعتقاد وصدقا"[٩].

اشتهر ابن الأثير بكتابه "الكامل في التاريخ" الذي أرخ فيه للتاريخ منذ الخليقة حتى سنة ٦٢٨هـ[١٠]، وختم كتابه بذكر وفاة المشاهير كعادته في نهاية أحداث كل سنة، فذكر في هذه السنة الأخيرة وفاة شيخه القاضي ابن غنائم بن العديم الحلبي، الشيخ الصالح، وأحد أصدقائه وهو أبو القاسم عبد المجيد بن العجمي الحلبي، فقال عن الأول: "فإنه من جملة شيوخنا، سمعنا عليه الحديث، وانتفعنا برؤيته وكلامه". وقال عن الثاني: "وفيها أيضا في الثاني عشر من ربيع الأول توفي صديقنا أبو القاسم عبد المجيد بن العجمي الحلبي، وهو وأهل بيته مقدمو السنة بحلب، ... فرحمه الله رحمة واسعة"[١١]. فرحم الله ابن الأثير رحمة واسعة.

والكتاب يعتبر موسوعة ثمينة، ألَّفها المؤرخ ابن الأثير، وأخبرنا أنه تركها مركونة تكاسلا منه، وغياب المحفز لذلك فقال: "والعزم على إتمامه فاتر، والعجز ظاهر، للاشتغال بما لا بد منه، لعدم المعين والمُظاهر، ولهموم توالت ونوائب تتابعت، فأنا ملازم الإهمال والتواني"[١٢]، إلا أن الله تعالى شاء لهذا الكتاب أن يرى النور فسخره له صاحبه بشد الهمة ويقوم بتبيض تلك المسودات، ويتم إخراجها في صورة كتاب موسوعي ما زال شاهدا على إنجاز ابن الأثير في الكتابة التاريخية إلى يومنا هذا.

وكان الدافع لهذه الهمة مما يذكره ابن الأثير بنفسه هو أن صاحب الموصل الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ الأتابكي هو من طلب منه أن يقوم بإخراج هذا الكتاب للعالم[١٣]، وقد نقل ابن الأثير ذلك الطلب في مقدمة كتابه فقال: "فبينما الأمر كذلك إذ برز أمر من طاعته فرض واجب، واتباع أمره حكم لازب، من أعلاق الفضل بإقباله عليها نافقة، وأرواح الجهل بإعراضه عنها نافقة، من أحيا المكارم وكانت أمواتا، وأعادها خلقا جديدا بعد أن كانت رفاتا، من عم رعيته عدله ونواله وشملهم إحسانه وإفضاله، مولانا مالك الملك الرحيم العالم المؤيد المنصور المظفر بدر الدين، ركن الإسلام والمسلمين محيي العدل في العالمين خلد الله دولته، فحينئذ ألقيت عني جلباب المهل، وأبطلت رداء الكسل، وألقيت الدواة وأصلحت القلم، وقلت: هذا أوان

الشد فاشتدي زيم وجعلت الفراغ أهم مطلب وإذا أراد الله أمرا هيأ له السبب وشرعت في إتمامه مسابقا"[١٤].

أصل المغول:

كلمة مغول تعني الشجاعة[١٥]، ولقد عرف المغول أيضا بالتتار، والتتار كانوا قبائل معادية للمغول، غير أن الملك جنكيز خان[١٦] استطاع أن يوحد قبائل المغول والتتر، بفضل شجاعته وحبه للسيطرة والتملك، ومن ثم استُخدم اسم المغول فيما بعد للدلالة على جميع القبائل المغولية[١٧]، لذلك يعتبر التتر من القبائل المغولية، ونشأت هذه القبائل في هضبة منغوليا التي تقع شمال صحراء جوبي، وتمتد شرق تركمانستان بين جبال الناي غربا وجبال خنجان شرقا[١٨].

يحيط الغموض بالتاريخ القديم للمغول بسبب أن هذه الحقبة التاريخية تسيطر عليها القصص والأساطير، وسبب ذلك أن التاريخ في هذه الفترة يعتمد على الروايات والتلقين، بدلا من اعتماده على الكتابة والتدوين، تماما كتاريخ العرب في الجاهلية، فاعتماده على السرد الروائي لا ريب يشوبه التشويه، فهو كثيرا ما يتأثر بالزيادة أحيانا وبالنقصان أحيانا أخرى، ولا يخفى على القارئ ما يعتري الذاكرة البشرية من الخلط والنسيان[١٩].

وعن أصل التتر ذكر ابن الأثير في حوادث ٦١٧هـ فقال: "وفي هذه السنة ظهر التتر إلى بلاد الإسلام، وهم نوع من الترك ومساكنهم جبال طغماج من نحو الصين، بينها وبين بلاد الإسلام ما يزيد على ستة أشهر"[٢٠].

وصف الغزو التتري:

وصف ابن الأثير الغزو التتري بالحادثة العظمى والمصيبة الكبرى، التي انتشرت في جميع أرجاء قارة آسيا تقريبا دون استثناء، حتى وصلت إلى بلاد المسلمين بخارى وسمرقند وما جاورهما، بل إلى امتدت إلى عقر ديارهم في بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية عام ٦٥٦هـ.

ورغم أن ابن الأثير لم يعش إلى هذه السنة التي سقطت فيها بغداد، إلا أنه استعظم شناعة ما فعله التتر عند اجتياحهم لبلاد المسلمين، فكيف به لو عاش ورأى بأم عينيه ما فعلوه في بغداد.

ومن يقرأ تقديم ابن الأثير لسنة ٦١٧هـ يلمس من خلال وصفه مدى استشعاره رحمه الله بهول تلك الفاجعة، ومدى استهجانه لها، واستغرابه من سرعة حدوثها، وتنامي انتشارها في وقت قصير جدا، لم يكن له مثيل في التاريخ[٢١].

ولعل هول الفاجعة هي التي جعلت ابن الأثير معرضا سنين عدة عن كتابة حادثة خروج التتر، واقتحامهم لبلاد المسلمين بخارى وسمرقند، فقال في بداية دخول سنة ٦١٧هـ: "لقد بقيت

عدة سنين معرضا عن ذكر هذه الحادثة استعظاما لها، كارها لذكرها، فأنا أقدم إليه رجلا وأؤخر أخرى، فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام والمسلمين؟ ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك؟ فيا ليت أمي لم تلدني، ويا ليتني مت قبل حدوثها وكنت نسيا منسيا، إلا أنني حثني جماعة من الأصدقاء على تسطيرها وأنا متوقف، ثم رأيت أن ترك ذلك لا يجدي نفعا، فنقول: هذا الفعل يتضمن ذكر الحادثة العظمى، والمصيبة الكبرى التي عقت الأيام والليالي عن مثلها، عمت الخلائق، وخصت المسلمين، فلو قال قائل: إن العالم مذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم، إلى الآن، لم يبتلوا بمثلها، لكان صادقا، فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا ما يدانيها"[٢٢].

ومن وجهة نظري قد يكون عزوف ابن الأثير عن الكتابة في بداية الأمر يرجع إلى إحساسه بالأسى والحزن الشديد على تفرق المسلمين واختلافهم، وهو الأمر الذي أفضى إلى ضعفهم لاحقاً عن مواجهة جحافل المغول وانهزامهم، فالحزن الشديد يؤدي إلى العزوف عن كل شيء، حتى إنه يبعد الشخص عن سائر الأعمال التي يقوم بها، وإن كانت محببة إليه.

كما قارن ابن الأثير بين حادثة خروج التتر وبين أعظم حوادث الزمان التي مرت على البشرية السابقة لها، مثل ما حدث لبني إسرائيل على يد نبوخذ نصر وما فعله ببيت المقدس من تدمير، أو ما بما سيأتي في آخر الزمان، بل جعلها أكبر من فتنة الدجال، فقال: "ومن أعظم ما يذكرون من الحوادث ما فعله بخت نصر ببني إسرائيل من القتل، وتخريب البيت المقدس، وما البيت المقدس بالنسبة إلى ما خرب هؤلاء الملاعن من البلاد، التي كل مدينة منها أضعاف البيت المقدس، وما بنو إسرائيل بالنسبة إلى من قتلوا، فإن أهل مدينة واحدة ممن قتلوا أكثر من بني إسرائيل، ولعل الخلق لا يرون مثل هذه الحادثة إلى أن ينقرض العالم، وتفنى الدنيا، إلا يأجوج ومأجوج. وأما الدجال فإنه يبقي على من اتبعه، ويهلك من خالفه، وهؤلاء لم يبقوا على أحد، بل قتلوا النساء والرجال والأطفال، وشقوا بطون الحوامل، وقتلوا الأجنة، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم"[٢٣].

واحتار ابن الأثير في سرعة انتشار التتر واستلائهم على الكثير من البلاد، وراح يقارن بينهم وبين الإسكندر الذي ملك الدنيا، والمدة الزمنية التي قضاها في ذلك، حيث قدر ذلك الوقت بنحو عشر سنين، ولم يمعن السيف في الناس، إنما دان له الناس بالطاعة طواعية من غير سفك للدماء وعن رضا نفس وليس عن إجبار، بينما هؤلاء التتر ملكوا أكثر المعمورة في سنة وبسفك للدماء لا مثيل له، فكيف يكون لهم ذلك؟ وفي ذلك الوقت القصير، قال رحمه الله: "فإن الإسكندر الذي اتفق المؤرخون على أنه ملك الدنيا لم يملكها في هذه السرعة، إنما ملكها في نحو عشر سنين، ولم يقتل أحدا، إنما رضي من الناس بالطاعة، وهؤلاء قد ملكوا أكثر المعمور

من الأرض وأحسنه، وأكثره عمارة وأهلا، وأعدل أهل الأرض أخلاقا وسيرة، في نحو سنة، ولم يبق أحد في البلاد التي لم يطرقوها إلا وهو خائف يتوقعهم، ويترقب وصولهم إليه"[٢٤].

ووصف سيرهم كالسحاب، وذلك كناية عن السرعة التي كانوا يتنقلون بها من بلاد إلى أخرى، وكانت سرعتهم في دخول البلاد فتاكة قائمة على قتل الجميع من الرجال والنساء وحتى الأطفال، فقال: "لهذه الحادثة التي استطار شررها، وعم ضررها، وسارت في البلاد كالسحاب استدبرته الريح، فإن قوما خرجوا من أطراف الصين، فقصدوا بلاد تركستان مثل كاشغر وبلاساغون، ثم منها إلى بلاد ما وراء النهر، مثل سمرقند وبخارى وغيرهما، فيملكونها، ويفعلون بأهلها ما نذكره، ثم تعبر طائفة منهم إلى خراسان، فيفرغون منها ملكا، وتخريبا، وقتلا ونهبا، ثم يتجاوزونها إلى الري[٢٥]، وهمذان[٢٦]، وبلد الجبل، وما فيها من البلاد إلى حد العراق، ثم يقصدون بلاد أذربيجان وأرانية، ويخربونها، ويقتلون أكثر أهلها، ولم ينج إلا الشريد النادر في أقل من سنة، هذا ما لم يسمع بمثله، ثم لما فرغوا من أذربيجان وأرانية ساروا إلى دربند شروان فملكوا مدنه، ولم يسلم غير القلعة التي بها ملكهم، وعبروا عندها إلى بلد اللان، واللكز، ومن في ذلك الصقع من الأمم المختلفة، فأوسعوهم قتلا، ونهبا، وتخريبا، ثم قصدوا بلاد قفجاق، وهم من أكثر الترك عددا، فقتلوا كل من وقف لهم، فهرب الباقون إلى الغياض ورؤوس الجبال، وفارقوا بلادهم، واستولى هؤلاء التتر عليها، فعلوا هذا في أسرع زمان، لم يلبثوا إلا بمقدار مسيرهم لا غير"[٢٧].

وهنا ينقل ابن الأثير الصورة القاتمة لهمجية التتر، وهم يجتاحون البلدان مثل الإعصار فلا يميزون بين الصغير والكبير أو بين المقاتل والرجل الأعزل، ولم يهتموا للمقتول رجل كان أو امرأة.

لقد كان هذا المشهد عظيما على ابن الأثير، وعلى جميع من عاصر تلك المحنة التي ألمت بالمسلمين وآلمتهم، مما دفع به لاحقا إلى العزوف عن ذكر تلك الحادثة وعدم الكتابة عنها، غير أنه استدرك الأمر وقدم لنا تأريخا قيما عنها.

وتجدر الإشارة إلى أن ابن الأثير لم يعاصر تاريخ عام ٦٥٦هـ الموافق للثامن والعشرين من فبراير عام ١٢٥٨م، وذلك بسبب وفاته سنة ٦٣٠هـ، وهو تاريخ دخول التتر إلى بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية وقضاءهم على الخلافة العباسية، وتدميرهم لعاصمتها بغداد شر تدمير، وإتلافهم للثروة العلمية الكبيرة التي ملأت بها مكتبات حاضرة الإسلام، وقتلهم لخليفة المسلمين المعتصم وولديه وأغلب سكان المدينة[٢٨].

ولعل أسلوبهم في التنكيل[٢٩] الذي لا يراعي دينا ولا أعرافا ولا تقاليد جعل المؤرخ لا يغفل عن الإشارة إلى ديانة هؤلاء القوم، فذكر بأنهم كانوا يسجدون للشمس ولا يحرمون شيئا، فقال: "وأما ديانتهم، فإنهم يسجدون للشمس عند طلوعها، ولا يحرمون شيئا، فإنهم يأكلون جميع الدواب،

حتى الكلاب، والخنازير، وغيرها، ولا يعرفون نكاحا بل المرأة يأتيها غير واحد من الرجال، فإذا جاء الولد لا يعرف أباه"[٣٠].

بعض البلاد التي ذكرها المؤرخ ابن الأثير واجتاحها المغول:

تحدث المؤرخ ابن الأثير عن تقدم المغول إلى بلاد ما وراء النهر واستطاعتهم السيطرة عليها وامتلاكها في زمن وجيز، كما تحدث أيضاً عن دخولهم وسيطرتهم على مدينة الري[٣١] ومدينة همذان[٣٢] وأذربيجان وخرسان ومراغه ودخولهم إلى ديار بكر والجزيرة الفراتية، وكان ابن الأثير في أثناء حديثة عن اجتياح المغول يتحدث عن الخراب والدمار والقتل الشنيع الذي كانوا يقومون به في كل المدن التي يدخلونها، وسكانها الذين يقعون في أيديهم، حيث عاثوا في كل بلد دخلوه فساداً[٣٣]، كما ذكر أيضاً تسيير جنكيز خان عشرين ألف فارس للبحث عن خوارزم شاه وطلب إحضاره بعد دخولهم مدينة سمرقند[٣٤].

أسباب الغزو التتري عند ابن الأثير:

يذكر ابن الأثير ثلاثة أسباب لقدوم هؤلاء التتر إلى بلاد المسلمين، وكان السبب الأول الذي ذكره هو أن جنكيز خان ملك التتر أرسل جماعة من التجار إلى سمرقند[٣٥]، بلاد ما وراء النهر ومدينة بخارى[٣٦]، ليشتروا له ثيابا، وعندما وصلوا إلى مدينة أوترار وهي آخر ولاية لخوارزم شاه كان له عليها نائب فيها فأرسل النائب إلى خوارزم شاه محمد (٥٩٦-٦١٧هـ) يخبره بقدوم هذه الجماعة، ويعلمه بما لديهم من أموال، فبعث خوارزم شاه إليه، يطلب منه قتلهم وأخذ ما معهم من أموال وإرسال تلك الأموال لخوارزم شاه، فكانت هي الشرارة لاجتياح جحافل التتر للعالم الإسلامي، قال ابن الأثير: "وكان السبب في ظهورهم أن ملكهم، ويسمى بجنكز خان، المعروف بتمرجين، كان قد فارق بلاده وسار إلى نواحي تركستان، وسير جماعة من التجار والأتراك، ومعهم كثير من النقرة والقندز وغيرهما، إلى بلاد ما وراء النهر سمرقند وبخارى ليشتروا له ثيابا للكسوة، فوصلوا إلى مدينة من بلاد الترك تسمى أوترار، وهي آخر ولاية خوارزم شاه، وكان له نائب هناك، فلما ورد عليه هذه الطائفة من التتر أرسل إلى خوارزم شاه يعلمه بوصولهم ويذكر له ما معهم من الأموال، فبعث إليه خوارزم شاه يأمره بقتلهم، وأخذ ما معهم من الأموال وإنفاذه إليه، فقتلهم، وسير ما معهم، وكان شيئا كثيرا، فلما وصل إلى خوارزم شاه فرقه على تجار بخارى، وسمرقند، وأخذ ثمنه منهم"[٣٧].

وفي الحقيقة أن مقتل التجار كان مجرد حجة استغلها المغول لاجتياح الأراضي الإسلامية، حيث توجد عدة أسباب أخرى وراء غزو المغول هذا، إذا كانت الثروات الاقتصادية التي تمتعت بها أراضي الدولة الخوارزمية محط أنظار المغول منذ قيامهم، فقد كان يغلب على

أراضيهم قلة الموارد وصعوبة التضاريس والمناخ القاسي، وكانوا دائماً في تنقل للبحث عن الموارد الطبيعية والمراعي الخصبة، فاتخذوا الإغارة على الأراضي المجاورة سبيلا من أجل تلبية حاجاتهم، عوضا.

هذا بالإضافة إلى شعور المغول بالقوة خصوصاً بعد توحيدهم على يد زعيمهم جنكيز خان عام ٦٠٤هـ/١٢٠٩م، واجتماع المغول حوله كقائد ملهم لهم[٣٨].

الدولة الخوارزمية ومحنة التتار:

إن الوقوف عند هذا السبب يدعونا إلى استعراض تاريخ مختصر للدولة الخوارزمية، حتى نتمكن من الوقوف على حقيقة هذا السبب.

قبيل الغزو التتري كانت الخلافة العباسية تمر بمرحلة من الضعف الشديد، الذي دب في أوصالها، وأدى إلى قيام دويلات مستقلة عنها في الأطراف، ومن هذه الدول: "الدولة الخوارزمية".

والخوارزميون، هي سلالة تركية مسلمة سنية حكمت أجزاء كبيرة من آسيا الوسطى وغرب إيران بين سنوات (٤٩٠هـ/١٠٩٧م–٦٢٨هـ/١٢٣١م)، وكانوا اتباعا لدولة السلاجقة، ثم استقلوا عنها سنة ٤٩٠هـ/١٠٩٧م وهي السنة التي تأسست فيها الدولة الخوارزمية، ويمكن اعتبار أنوشتكين (ت ٤٩٠هـ/١٠٩٧م) وابنه قطب الدين محمد خوارزم شاه (ت ٥٢١هـ/١١٢٦م)، المؤسسان للدولة الخوارزمية[٣٩].

سعى قطب الدين محمد إلى توطيد حكمه في خوارزم، وبقي تابعًا مخلصًا للسلاجقة لا يخرج عن طاعتهم حتى وفاته في سنة ٥٢١هـ/١١٢٦م، لكن بعد خلافته في الحكم من طرف ابنه علاء الدين اتسز (ت ٥٥١هـ/١١٥٦م) بأمر من السلطان السلجوقي بدأت الرغبة في الاستقلال عن الدولة السلجوقية[٤٠].

وبعد وفاة علاء الدين اتسز[٤١] تولى الحكم بعده ابنه إيل أرسلان (ت ٥٦٨هـ/١١٧٢م) ، فاستغل ضعف السلاجقة، وانشغالهم بالصراع على الحكم فسيطر على بعض بلاد خراسان وما وراء النهر[٤٢]، وتولى بعده ابنه علاء الدين تكش (ت ٥٩٦هـ/١٢٠٠م)، وتمكن من توسعة الدولة الخوارزمية، واستطاع أن يهزم آخر السلاطين السلاجقة في العراق سنة ٥٩٠هـ/١١٩٤م، ويوطد حكمه على أنقاض دولة السلاجقة.

بعد وفاة علاء الدين تكش خلفه ابنه علاء الدين محمد خوارزم شاه[٤٣] (٥٩٦–٦١٧هـ/١١٩٩–١٢٢٠م)[٤٤]، وفي عهده توسعت الدولة الخوارزمية، واستقر حكمها، فسيطر على خراسان وهرات، وكرمان وسمرقند وما تبقى من أملاك الدولة الغورية (٥٤٣–٦١٢هـ/١١٤٨–

١٢١٥م)[٤٥]، ودولة الخطا أو القراخطائية[٤٦]، وأملاكها في "ما وراء النهر"، بعد معارك دامية، ونجح في إخضاع سائر أجزاء من إيران ما بين (٦٠٧-٦١٤هـ/١٢١٠-١٢١٧م)، قال ابن الأثير: "خوارزم شاه محمد بن تكش كان من جملة أمراء أبيه أمير اسمه أبو بكر، ولقبه تاج الدين. ... فقال أبو بكر لخوارزم شاه: إن بلاد كرمان مجاورة لبلدي، فلو أضاف السلطان إلي عسكرا لملكتها في أسرع وقت، فسير معه عسكرا كثيرا فمضى إلى كرمان، وصاحبها اسمه حرب بن محمد بن أبي الفضل الذي كان صاحب سجستان أيام السلطان سنجر، فقاتله، فلم يكن له به قوة، وضعف، فملك أبو بكر بلاده في أسرع وقت، وسار منها إلى نواحي مكران فملكها كلها إلى السند، من حدود كابل، وسار إلى هرمز، مدينة على ساحل بحر مكران، فأطاعه صاحبها، واسمه ملنك، وخطب بها لخوارزم شاه، وحمل عنها مالا، وخطب له بقلهات، وبعض عمان، لأن أصحابها كانوا يطيعون صاحب هرمز"[٤٧].

وبهذا وصلت الدولة الخوارزمية في عهده إلى أقصى اتساعٍ لها، فامتدَّت سلطتها من شمال بحر قزوين وبحر آرال شمالًا إلى المحيط الهندي جنوبًا، ومن السند شرقًا إلى حدود العراق غربًا.

وأدى اتساع أملاك دولة الخوارزميين وسلطانهم علاء الدين محمد إلى طمعه في أن تكون له من دار الخلافة امتيازات شبيهة بتلك التي كانت تمنح لدولة السلاجقة، بحكم أنهم وارثو تركة الدولة السلجوقية بعد سقوطها[٤٨]، فطلب من الخليفة العباسي الناصر (٥٧٥-٦٢٢هـ/١١٨٢-١٢٢٥م) أن تكون له الخطبة باسمه في بغداد، وكان ذلك تمهيدا لفرض نفوذهم السياسي على بغداد، ولكن الخليفة العباسي رفض تلك المطالب، على أساس أنها تنازع الخليفة في ملكه، وتدل على تغلب الخارجي، وان استقلال الدولة الخوارزمية عن سلطة الخلافة في بغداد لا يؤدي بالضرورة إلى أن تتحكم في أمور الخلافة العباسية أو تأمر وتنهى كيف ما شاء[٤٩].

وهكذا أصبحت العلاقة بين هذه الدولة الخوارزمية والخلافة العباسية في بغداد علاقة في غاية التوتر، وصُدم الخوارزميون عندما جاء رد الخليفة الناصر لدين الله العباسي بالرفض، مبددا بذلك أطماعهم التوسعية، قال ابن الأثير وهو يتحدث عن أطماع علاء الدين محمد: "إنه كان قد استولى على ما وراء النهر وظفر بالخطا، وعظم أمره، وعلا شأنه، وأطاعه القريب والبعيد ومنها: أنه كان يهوى أن يخطب له ببغداد، ويلقب بالسلطان، وكان الأمر بالضد لأنه كان لا يجد من ديوان الخلافة قبولا، وكان سبيله إذا ورد إلى بغداد أن يقدم غيره عليه، ولعل في عسكره مائة مثل الذي يقدم سبيله عليه، فكان إذا سمع ذلك يغضبه"[٥٠].

وحدا ذلك الرفض لاحقا بالخوارزميين وملكهم خوارزم شاه إلى تجهيز جيش كبير، ضاربين عرض الحائط بالعهود والمواثيق والأعراف التي تكفل للخلافة أمنها وسلامتها[٥١]، وتوجهوا به إلى

مدينة الري وهمدان وأصبهان[٥٢] كبرى حواضر الدولة العباسية[٥٣]، لاستلاء عليها، قال ابن الأثير عن أحداث سنة ٦٢٢هـ: "ورحل الوزير من موضع المصاف إلى همذان، فنزل بظاهرها، فأقام نحو ثلاثة أشهر، فوصله رسول خوارزم شاه تكش، وكان قد قصدهم منكرا أخذه البلاد من عسكره، ويطلب إعادتها وتقرير قواعد الصلح، فلم يجب الوزير إلى ذلك، فسار خوارزم شاه مجدا إلى همذان. وكان الوزير مؤيد الدين بن القصاب قد توفي في أوائل شعبان، فوقع بينه وبين عسكر الخليفة مصاف، نصف شعبان سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة، فقتل بينهم كثير من العسكريين، وانهزم عسكر الخليفة، وغنم الخوارزميون منهم شيئا كثيرا، وملك خوارزم شاه همذان، ونبش الوزير من قبره، وقطع رأسه وسيره إلى خوارزم، وأظهر أنه قتله في المعركة"[٥٤].

ومن شدة حلمه بالتوسع وطمعه بالسلطنة، بل حتى بمنصب الخلافة، تطلع إلى السيطرة على بغداد عاصمة الخلافة العباسية، وقصدها بجيش كبير سنة ٦١٤هـ/١٢١٧م، لكن شاءت قدرة الرحمن تعالى على يتعثر مسيره في الطريق عندما وصل إلى مدينة أسد أباد، فهبت عاصفة ثلجية على جيشه، أهلكت الكثير من رجاله ودوابه، فاضطر إلى العودة إلى بلاده مع البقية الباقية من جيشه، وهكذا شاءت الأقدار ألا يتحقق حلمه بدخول بغداد، قال ابن الأثير: "ثم إنه عزم على المسير إلى بغداد، فقدم بين يديه أميرا كبيرا في خمسة عشر ألف فارس، وأقطعه حلوان، فسار حتى وصل إليها، ثم أتبعه بأمير آخر، فلما سار عن همذان يومين أو ثلاثة سقط عليهم من الثلج ما لم يسمع بمثله، فهلكت دوابهم، ومات كثير منهم، وطمع فيمن بقي بنو ترجم الأتراك، وبنو هكار الأكراد، فتخطفوهم، فلم يرجع منهم إلى خوارزم شاه إلا اليسير، فتطير خوارزم شاه من ذلك الطريق، وعزم على العود إلى خراسان خوفا من التتر، لأنه ظن أنه يقضي حاجته، ويفرغ من إرادته في المدة اليسيرة، فخاب ظنه"[٥٥]. وشاع بين الناس أن ما حصل لجيش علاء الدين كان غضبا من الله تعالى[٥٦].

وجاء بعده جلال الدين منكبرتي إلى سدة الحكم خلفا لوالده علاء الدين سنة (٦٢٢هـ/١٢٢٥م)، وكانت أطماع جده ووالده التوسعية ما زالت حبيسة أفكاره ووجدانه، فعمل على مهاجمة خوزستان، وحاصر مدينة تستر، وعاثت جنوده في الأرض فسادا، قال ابن الأثير: "ولما كان الخوارزميون على دقوقا، سارت سرية منهم إلى البت والراذان، فهرب أهلها إلى تكريت، فتبعهم الخوارزمية، فجرى بينهم وبين عسكر تكريت وقعة شديدة، فعادوا إلى العسكر. ولقد رأيت بعض أعيان أهل دقوقا وهم بنو يعلى، وهم أغنياء، فنهبوا، وسلم أحدهم، ومعه ولدان له، وشيء يسير من المال، فسير ما سلم معه إلى الشام مع الولدين، ليتجر بما ينتفعون به، وينفقونه على نفوسهم، فمات أحد الولدين بدمشق، واحتاط الحاكم على ما معهم، فلقد رأيت أباهم على حالة شديدة لا يعلمها إلا الله، يقول: أخذت الأموال والأملاك، وقتل بعض الأهل، وفارق

من سلم منهم الوطن بهذا القدر الحقير، أردنا أن نكف به وجوهنا من السؤال، ونصون أنفسنا، فقد ذهب الولد والمال"[٥٧].

ويعلق ابن الأثير على جشع جلال الدين، وكيف قتله طموحه، فقال: "ثم سار إلى دمشق ليأخذ ما سلم مع ابنه الآخر، فأخذه وعاد إلى الموصل، فلم يبق غير شهر حتى توفي، إن الشقي بكل حبل يخنق"[٥٨].

ولم يكتفي بذلك بل حاول استدراج المعظم عيسى صاحب دمشق، فكاتبه وطلب منه معاونته في مهاجمة بغداد من الغرب، فرد عليه صاحب دمشق بأنه معه ضد أي أحد إلا الخليفة، فإنه لا يستطيع باعتباره إمام المسلمين، نقل تلك المكاتبة سبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤هـ/١٢٥٦م) في كتابه مرآة الزمان، فقال: "وحكى لي المعظم قال: كتب إليَّ [خوارزم شاه جلال الدِّين] يقول: تحضر أَنْتَ ومن عاهدني، واتَّفِقْ معي حتَّى نقصد الخليفة، فإنَّه كان السبب في هلاك أبي، ومجيء الكفار إلى البلاد، وجدنا كُتُبه إلى الخطا، وتواقيعه لهم بالبلاد والخيل والخِلَع. قال المعظم: فكتبتُ إليه: أنا معك على كلِّ أحدٍ إلَّا على الخليفة، فإنَّه إمامُ المُسْلمين"[٥٩].

ولم يؤثر ذلك الرد على خوارزم شاه، ولم يمعن التفكير ولو لوهلة واحدة في تلك الحملة التي ربما لو أمعن التفكير بها، لاهتدى إلى نفس موقف المعظم صاحب دمشق من احترام حرمة إمام المسلمين الخليفة العباسي ووحّد جهوده معه.

إن تلك التحركات السياسة التي قام بها خوارزم شاه أدت إلى شق صف المسلمين، وتشتيت كلمتهم، وإضعافهم عن مواجهة التتر أعداء الإسلام والمسلمين.

قويت شوكة الخوارزميين، بما ملكوه من الأموال الطائلة، وضمهم للكثير من المدن مثل كرمان ومكران والسند، وكل بلاد ما وراء النهر، وقضائهم على دولتي الخطا والغور، وقارعوا حتى الخلافة العباسية، وبما أنهم تجرأوا عليها فلا عجب أن يتجرأ خوارزم شاه على رسل جنكيز خان ويقتلهم، مدفوعا بتلك العجرفة وسوء السياسية ناقضا الصلح الذي عقده مع جنكيز خان[٦٠].

ولا ريب أن جنكيز خان ملك التتر عندما أحس بقوة الخوارزميين، واتساع ملكهم، بدأ يفكر في مهادنتهم ليصلح الاقتصاد ويعمر البلاد، فأرسل إلى خوارزم شاه رسولا يطلب منه أن يعقد الصلح والمودة بين الطرفين[٦١]، وأي مودة تلك، وهو الذي لم يصن المودة التي تربطه بأبناء قومه، فوافق خوارزم شاه على عقد الصلح.

إن حادثة مقتل رسل التتار لم تكن هي السبب المباشر لذلك الاجتياح، لأن ذلك كان سيحدث لا محالة فالرغبة في تكوين إمبراطورية مغولية أو تترية كانت حلم جنكيز خان، وسيطرته على العالم، ويتضح ذلك من خلال تتبع نشأته وتمكنه من توحيد قبائل المغول والتتر وقضائه على خصومه وتكوين دولة قوية ودوره الفعال في سرعة انتشارها وتوسعها.

إن المتصفح لكتب التاريخ يستطيع أن يلمس أن خوارزم شاه وجنكيز خان كانا في أوج قوتهما؛ فخوارزم شاه كان يحقق الانتصارات المتتالية، ويضم أراضٍ جديدة إلى ملكه، في المقابل كان جنكيز خان على نفس الوتيرة يتسع ملكه ويضم الأراضي بسرعة هائلة، فمن الطبيعي أن يحدث الصدام بين الطرفين، والطرفان لا يبعدان كثيرا عن بعضهما البعض، وكل واحد منهما ينوي الانفراد بالسيطرة على العالم، والقضاء على الآخر، وهذا يتضح من خلال تتبع تنامي سيطرتهما على المناطق المحيطة بهما، والعمل الدؤوب على الاستحواذ عليها.

إن خوارزم شاه لم يرد تلك الحرب، وهذا واضح، لكنه أجبر عليها، وفي نفس الوقت لم يتهرب منها[٦٢]، بل قام بمواجهتها، قال ابن الأثير يصف حالة خوارزم شاه لما فرضت عليه الحرب: "فلما قتل نائب خوارزم شاه أصحاب جنكز خان أرسل جواسيس إلى جنكز خان لينظر ما هو، وكم مقدار ما معه من الترك، وما يريد أن يعمل، فمضى الجواسيس، وسلكوا المفازة والجبال التي على طريقهم، حتى وصلوا إليه، فعادوا بعد مدة طويلة، وأخبروه بكثرة عددهم، وأنهم يخرجون عن الإحصاء، وأنهم من أصبر خلق الله على القتال لا يعرفون هزيمة، وأنهم يعملون ما يحتاجون إليه من السلاح بأيديهم، فندم خوارزم شاه على قتل أصحابهم وأخذ أموالهم، وحصل عنده فكر زائد، فأحضر الشهاب الخيوفي، وهو فقيه فاضل، كبير المحل عنده، لا يخالف ما يشير به، فحضر عنده، فقال له: قد حدث أمر عظيم لا بد من الفكر فيه وأخذ رأيك في الذي نفعله، وذاك أنه قد تحرك إلينا خصم من ناحية الترك في كثرة لا تحصى. فقال له: في عساكرك كثرة ونكاتب الأطراف، ونجمع العساكر، ويكون النفير عاما، فإنه يجب على المسلمين كافة مساعدتك بالمال والنفس، ثم نذهب بجميع العساكر إلى جانب سيحون، وهو نهر كبير يفصل بين بلاد الترك وبلاد الإسلام"[٦٣].

وبسبب سياسة اللامبالاة أو العجرفة والتسرع يمكن جنكيز خان من إلقاء اللوم على الأول وإظهار صورته أمام المسلمين بأنه هو الملام على هذا الاجتياح، وقد نجح حقا جنكيز خان في أن يقلب الأمور رأسا على عقب، والواقع أن جنكيز خان هو من أعد العدة لهذه الحرب، وكان ينتظر الشرارة لبدئها، فهو المدبر الحقيقي لهذه الحرب[٦٤].

وقتل التجار المغول لم يكن إلا ذريعة، يتذرع بها جنكيز خان لتبرير هجومه، ومحققا بها آمالا لطالما انتظرها وحلم بها، وليظهر أمام الملأ بأنه القائد البطل النبيل، الذي لم يرض أن يصيب قومه أدنى مذلة، فهب لأخذ الثأر ممن قتلهم.

كما نجح في وضع خوارزم شاه بفعلته الشنيعة أمام المسلمين كحاكم ظالم، وليبرر هجومه على اعتبار أنه ليس المذنب، وإنما الظروف اضطرته لفعل ذلك دفاعا عن حرمة رجاله،

ووسيلة لشق صفوف المسلمين كعادته، باعتبار أن قائدا مسلما جرّ المسلمين لهذه الحرب التي لا تحمد عقباها[٦٥].

ولنا أن نتخيل لو أن خوارزم شاه انتصر في معاركه ضد المغول، وكسر شوكتهم، فماذا كان سوف يحصل؟

والإجابة أن مكانة خوارزم شاه كانت سترتفع، وسيكون بطلا في أعين المسلمين، مثلما هو صلاح الدين الأيوبي، لكن شتان طبعا بين القائدين، ولكان التجار المغول المقتولين في نظر الناس مجرد جواسيس وجب قتلهم والتخلص منهم، ولكن للأسف إن خوارزم شاه أعطى الحجة كاملة لجنكيز خان لاجتياح المنطقة بسبب عجرفته وسوء سياسته[٦٦].

إذا نستطيع أن نخرج من خلال كل ما تقدم بنتيجة مفادها أن السبب الحقيقي للاجتياح التتري هو الأطماع التوسعية لجنكيز خان، ونلاحظ أن جنكيز خان أراد فقط أن يجد الحجة لتدمير الخوارزميين الذين قاوموا جشعه وطمعه في بلاد المسلمين[٦٧].

كما أن ابن الأثير تطرق لذكر سبب آخر وهو أن خوارزم شاه محمد قام بمنع الميرة والكسوة من وصولها إلى التتر، الذين استقروا قبل ذلك في تركستان، نقل ذلك ابن الأثير عن فعل خوارزم شاه: "وكان بعد أن ملك ما وراء النهر من الخطا، قد سد الطرق عن بلاد تركستان وما بعدها من البلاد، وإن طائفة من التتر أيضا كانوا قد خرجوا قديما والبلاد للخطا، فلما ملك خوارزم شاه البلاد بما وراء النهر من الخطا، وقتلهم، واستولى هؤلاء التتر على تركستان: كاشغار، وبلاساغون وغيرهما، وصاروا يحاربون عساكر خوارزم شاه، فلذلك منع الميرة عنهم من الكسوات وغيرها"[٦٨]. وهذان السببان هما اللذان قدمهما ابن الأثير لغزو التتر، وذكرها صراحة في كتابة.

مجلة دراسات تاريخية Journal of Historical Studies

ونستطيع أن نلمس أن كلا السببين ناجم من السياسة التي سار عليها خوارزم شاه تجاه الممالك التي جاورت حدود بلاده، ونستشف أن خوارزم شاه أحس بالعظمة نظرا لسيطرته على مناطق عديدة من الدولة الإسلامية، فعندما شعر بالقوة أحس بأنه لا أحد يستطيع أن يقف في وجهه، لذلك سلط جيشه لمحاربة دار الخلافة، كما دفع به ذلك الإحساس إلى إلغاء الصلح كان بينه وبين التتر بعد أن قبل به راضيا[٦٩].

لكن ابن الأثير لمح إلى سبب ثالث وفيه يوجه أصابع الاتهام إلى خليفة المسلمين الناصر لدين الله (٥٧٥-٦٢٢هـ) إذ أنشد قاصدا الخليفة متهما إياه بأنه هو من قام باستدعاء التتر لبلاد المسلمين، والتعاون معهم من أجل القضاء على خصومه، حيث يقول: "وقيل في سبب خروجهم إلى بلاد المسلمين غير ذلك مما لا يذكر في بطون الدفاتر ثم أنشد:

فكان ما كان مما لست أذكـره فظن أنه خيرا ولا تسأل عن الخبر"[٧٠]

بل ويصرح بها علانية عند حديثه عن خلفاء بني العباس، فلما وصل إلى الخليفة الناصر لدين الله قال عنه: "وجعل جل همه في رمي البندق، والطيور المناسيب، وسراويلات الفتوة، فبطل الفتوة في البلاد جميعها، إلا من يلبس منه سراويل يدعى إليه، ... فكان غرام الخليفة بهذه الأشياء من أعظم الأمور، وكان سبب ما ينسبه العجم إليه صحيحا من أنه هو الذي أطمع التتر في البلاد، وراسلهم في ذلك، فهو الطامة الكبرى التي يصغر عندها كل ذنب عظيم"[٧١].

إن هذه التهمة التي وجهت للخليفة لم يذكرها أحد من المؤرخين المعاصرين للغزو التتري والذين كتبوا عن ذلك الغزو مثل النسوي (ت ٩٣٦هـ)، ولا حتى رشيد الدين فضل الله (ت ٧١٨هـ) وهو من الذين أرخوا للغزو التتري[٧٢].

لماذا يا ترى سيقت هذه التهمة في كتابات ابن الأثير ولم يذكرها غيره؟

قد تكون الإجابة مفادها أن الغزو التتري كان وقعه كبيرا على ابن الأثير المؤرخ، وهو الذي أحجم عن الكتابة عن تلك الأحداث، ولم يستطيع أن يسوق نعي الإسلام والمسلمين، ويا ليته لم تلده أمه كما قال، فسماها المصيبة الكبرى[٧٣].

كما أن ابن الأثير نقل تلك التهمة من الخوارزميين أنفسهم أعداء الخليفة والخلافة، لذلك وضعها في الترتيب الثالث فأخر ذكرها، وربما لأنه لم يكن يوافق عليها، ولكنه ساقها لمجرد الذكر فقط لا غير، فابن الأثير يمتلك من البراعة التاريخية ما يمكنه من استيعاب مجريات الأحداث، فلا عجب فهو واضع كتاب الكامل في التاريخ.

ومن الطبيعي أن يرمي الخوارزميون سبب ذلك البلاء على الخليفة الناصر لدين الله الذي لطالما اعتبروه عدوهم اللدود، وكانوا يريدون الإطاحة به ويستولون على بغداد[٧٤]، فمن الذي يرغب في تحمل السبب المباشر لقدوم جحافل التتر إلى البلاد الإسلامية وهلاك المسلمين[٧٥].

ثم إن من مصلحة الخوارزميين إبعاد تلك التهمة عنهم، ليلتف المسلمون حولهم في مواجهة هذا العدو الكاسح، راغبين في التغطية على سياستهم المتعجرفة، وأطماعهم التي أوصلت البلاد والعباد إلى ما وصلت إليه[٧٦].

إذا المقولة التي ساقها ابن الأثير معتمدا على مقولة أعداء الخلافة، قد تكون هي ضرب من ضروب الخيال نسجتها عقول الخوارزميين، ولكن أقول ربما يكون ذلك تلفيقا باطلا، أريد به تشويه صورة خليفة المسلمين لتحقيق أطماع شخصية لدى خوارزم شاه[٧٧].

ومهما قيل فالحقيقة أن السبب الرئيسي لغزو التتار بعد هوسهم بالتوسع والانتشار هو عنجهية خوارزم شاه، وقتله لرسل جنكيز خان، وسوء تقديره لعواقب سياسته المتطرفة، وتلك هي الحادثة التي كانت بمثابة الشرارة التي أشعلت الحرب، يبين ذلك ابن الأثير فيقول: "ورد رسول من هذا اللعين جنكز خان معه جماعة يتهدد خوارزم شاه، ويقول: تقتلون أصحابي وتجاري

وتأخذون مالي منهم! استعدوا للحرب فإني واصل إليكم بجمع لا قبل لكم به، وكان جنكز خان قد سار إلى تركستان، فملك كاشغار، وبلاساغون، وجميع تلك البلاد، وأزال عنها التتر الأولى، فلم يظهر لهم خبر، ولا بقي لهم، بل بادوا كما أصاب الخطا، وأرسل الرسالة المذكورة إلى خوارزم شاه، فلما سمعها خوارزم شاه أمر بقتل رسوله، فقتل، وأمر بحلق لحى الجماعة الذين كانوا معه، وأعادهم إلى صاحبهم جنكز خان يخبرونه بما فعل بالرسول، ويقولون له: إن خوارزم شاه يقول لك: أنا سائر إليك، ولو أنك في آخر الدنيا، حتى أنتقم، وأفعل بك كما فعلت بأصحابك"[٧٨].

أسباب أخرى ساعدت على نجاح الهجوم التتري:

لقد توافرت عوامل متعددة على تحقيق هذا النجاح الساحق للمغول، وساعدتهم في هجماتهم على العالم الإسلامي، ذكرها ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ مبتدئا بمؤونة كبيرة تتحرك مع التتر أينما ذهبوا، مما ساعد الجيوش التترية على تحقيق ذلك الانتصار الكبير، فتوفر المؤن للجيوش في أثناء الحرب يعد من أهم عوامل انتصارها[٧٩]، وها هو ذا المؤرخ يصف توفر تلك المؤن من أغنام وأبقار وخيل وغيرها من الدواب حتى إنه وصف دوابهم بأنها تحفر الأرض بحوافرها، وتأكل عروق النباتات، فقال رحمه الله: "إنهم لا يحتاجون إلى ميرة ومدد يأتيهم، فإنهم معهم الأغنام، والبقر، والخيل، وغير ذلك من الدواب، يأكلون لحومها لا غير، وأما دوابهم التي يركبونها فإنها تحفر الأرض بحوافرها، وتأكل عروق النبات لا تعرف الشعير"[٨٠].

وفي سياق كلام ابن الأثير تنويه مهم جدا ساقه صراحة بقوله: "فهم إذا نزلوا منزلا لا يحتاجون إلى شيء من خارج"[٨١]، وكيف يحتاجون المؤونة؟ وكل ما يحتاجونه يحملونه معهم.

ثم أخذ ابن الأثير للحديث عن سبب إغارتهم، وهو أن العالم الإسلامي في الفترة ذاتها كان يعاني من الغزو الفرنجي الذي قصد الأراضي الإسلامية من الغرب، وفي نفس الوقت الغزو التتري من الشرق، فكيف للجيوش الإسلامية أن تواجه جيشان مختلفان من جهات وجبهات عدة، فالغزو الفرنجي ساهم هو الآخر في إضعاف الدولة الإسلامية مما سهل على التتر لاحقا الإطاحة بها[٨٢].

كما أنه يسوق لنا في الوقت نفسه الفرقة والتناحر والتشتت الذي ابتلي به العالم الإسلامي[٨٣]، ثم يشدد على اتهام خوارزم شاه وإسناد أمر ما لحق بالمسلمين من أذى إليه ذاكرا أفعاله وأعماله في التخلص من كل الأمراء المحيطين بمملكته من أجل تحقيق مطامعه التوسعية، حيث يقول ابن الأثير: "فإن هؤلاء التتر إنما استقام لهم هذا الأمر لعدم المانع، وسبب عدمه أن خوارزم شاه محمدا كان قد استولى على البلاد، وقتل ملوكها، وأفناهم، وبقي هو وحده سلطان البلاد

جميعها، فلما انهزم منهم لم يبق في البلاد من يمنعهم، ولا من يحميها ﴿ليقضي الله أمرا كان مفعولا﴾ [الأنفال: ٤٢]"[٨٤].

إنه لمن المؤسف أن يفكر الملك في تحقيق مآربه الشخصية، وبسط سلطانه على حساب دولة الخلافة، وإنه لمن المؤسف حقا ألا يفكر الملك بعواقب أعماله وأفعاله الشنيعة، التي سيدفع ثمنها الباهظ العالم الإسلامي بأسره.

كما أشار ابن الأثير إلى عجز الجيوش الإسلامية عن مواجهة الجيوش التترية، وإصابتها بالهزيمة النفسية من هول ما رأوه من شراسة التتر وارتكابهم للجرائم البشعة في قتالهم، حيث ذكر أن خوارزم شاه كان يسير بجيشه إلى التتر، فيرجعون كالمنهزمين دون قتال يذكر، ويعلق على ذلك قائلا: "وكان خوارزم شاه بمنزلته كلما اجتمع إليه عسكر سيره إلى سمرقند، فيرجعون ولا يقدرون على الوصول إليها، نعوذ بالله من الخذلان، سير عشرة آلاف فارس فعادوا كالمنهزمين من غير قتال، وسير عشرين ألفا فعادوا أيضا"[٨٥].

كما أن فقدان خوارزم شاه، ثم تأكيد خبر وفاته ساهم بالضرر الكبير بأوضاع المسلمين في مواجهة التتر، فمقتل القائد وغيابه عن قيادة الجيوش لا شك يؤثر في نفوس المسلمين جميعا، خاصة إذا لم تكن قيادة بديلة جاهزة التي سوف تلتف حولها جيوش المسلمين في الشرق، يصف ابن الأثير حالة المسلمين وأميرهم خوارزم شاه في آخر معاركم مع التتر بكلام يدمي القلوب، فقال: "وكان المسلمون قد ملئوا منهم رعبا وخوفا، وقد اختلفوا فيما بينهم، إلا أنهم كانوا يتماسكون بسبب أن نهر جيحون بينهم، فلما عبروه إليهم لم يقدروا على الثبات، ولا على المسير مجتمعين، بل تفرقوا أيدي سبا، وطلب كل طائفة منهم جهة، ورحل خوارزم شاه لا يلوي على شيء في نفر من خاصته، وقصدوا نيسابور، فلما دخلها اجتمع عليه بعض العسكر، فلم يستقر حتى وصل أولئك التتر إليها. وكانوا لا يتعرضون في مسيرهم لشيء لا بنهب ولا قتل بل يجدون السير في طلبه لا يمهلونه حتى يجمع لهم، فلما سمع بقربهم منه رحل إلى مازندران، وهي له أيضا، فرحل التتر المغربون في أثره، ولم يعرجوا على نيسابور بل تبعوه، فكان كلما رحل عن منزلة نزلوها"[٨٦].

وقال في موضع آخر عن حقيقة موته: "ومن أعظم الأمور على المسلمين أن سلطانهم خوارزم شاه محمدا قد عدم لا يعرف حقيقة خبره، فتارة يقال مات عند همذان وأخفي موته، وتارة دخل أطراف بلاد فارس ومات هناك وأخفي موته لئلا يقصدها التتر في أثره، وتارة يقال عاد إلى طبرستان وركب البحر، فتوفي في جزيرة هناك، وبالجملة فقد عدم، ثم صح موته ببحر طبرستان، وهذا عظيم، إن مثل خراسان وعراق العجم أصبح سائبا لا مانع له، ولا سلطان يدفع عنه، والعدو يجوس البلاد، يأخذ ما أراد ويترك ما أراد"[٨٧].

أيضا مما ساعد التتر على تحقيق انتصاراتهم هو سياستهم التدميرية التي اتبعوها أينما حلوا، أو نزلوا، فهم مثل الإعصار لا يتركون شيئا واقفا وراءهم، وكان ابن الأثير يصف أفعالهم التدميرية تلك بالأفعال الوحشية، حيث ذكر أنهم يدمرون المدن التي يدخلونها، ويقتلون النساء والرجال والأطفال، ولا يبقون على أحد، وهي سياسة اتبعها جنكيز خان أثناء اجتياحه للأراضي الصينية وكرر نفس السياسة في اجتياحه لبلاد المسلمين، فاتسمت بنفس الخراب والدمار لمعظم المدن التي دخلها، سواء استسلم أهلها طائعين أم قاوموا مقهورين، هذا إلى جانب عمليات النهب وتوصف بأنها فظيعة ليس لها مثيل[٨٨]، قال ابن الأثير: "وكان يوما عظيما من كثرة البكاء من الرجال والنساء والولدان، وتفرقوا أيدي سبا، وتمزقوا كل ممزق، واقتسموا النساء أيضا، وأصبحت بخارى خاوية على عروشها كأن لم تغن بالأمس، وارتكبوا من النساء العظيم، والناس ينظرون ويبكون، ولا يستطيعون أن يدفعوا عن أنفسهم شيئا مما نزل بهم، فمنهم من لم يرض بذلك، واختار الموت على ذلك، فقاتل حتى قتل، وممن فعل ذلك واختار أن يقتل ولا يرى ما نزل بالمسلمين، الفقيه الإمام ركن الدين إمام زاده وولده، فإنهما لما رأيا ما يفعل بالحرم قاتلا حتى قتلا. وكذلك فعل القاضي صدر الدين خان، ومن استسلم أخذ أسيرا، وألقوا النار في البلد، والمدارس، والمساجد، وعذبوا الناس بأنواع العذاب في طلب المال، ثم رحلوا نحو سمرقند وقد تحققوا عجز خوارزم شاه عنهم، وهم بمكانه بين ترمذ وبلخ، واستصحبوا معهم من سلم من أهل بخارى أسارى، فساروا بهم مشاة على أقبح صورة، فكل من أعيا وعجز عن المشي قتلوه، فلما قاربوا سمرقند قدموا الخيالة، وتركوا الرجالة والأسارى والأثقال وراءهم، حتى تقدموا شيئا فشيئا ليكون أرعب لقلوب المسلمين، فلما رأى أهل البلد سوادهم استعظموه"[٨٩].

إن الأساليب التي استخدمها التتر في حروبهم كان لها الأثر البالغ في تحقيق انتصاراتهم الدموية، حيث عملوا على استخدام الكمائن والخطط المبيتة، كما أنهم استخدموا الدروع التي تقيهم هجمات الأعداء كما عملوا على إجبار الأسرى على تقديم المعلومات اللازمة لهم، قال ابن الأثير: "فلما كان اليوم الرابع نادوا في البلد أن يخرج أهله جميعهم، ومن تأخر قتلوه، فخرج جميع الرجال والنساء والصبيان، ففعلوا مع أهل سمرقند مثل فعلهم مع أهل بخارى من النهب، والقتل، والسبي، والفساد، ودخلوا البلد فنهبوا ما فيه، وأحرقوا الجامع وتركوا باقي البلد على حاله، وافتضوا الأبكار، وعذبوا الناس بأنواع العذاب في طلب المال، وقتلوا من لم يصلح للسبي، وكان ذلك في المحرم سنة سبع عشرة وستمائة"[٩٠].

منهجية ابن الأثير في تناول الغزو التتري:

تعتبر كتابات ابن الأثير عن الغزو التتري من أهم الكتابات التي وصلتنا، باعتبار أن المؤرخ كان شاهد عيان على تلك الحقبة التي خلفت مآسي العالم الإسلامي.

وقد تميزت طريقة الكتابة التاريخية عند ابن الأثير بعدة مميزات منها أنه كان يربط بين الأحداث التي تحصل في مشرق العالم الإسلامي من هجمات تترية وبين غزو الفرنجة للعالم الإسلامي من جهة الغرب، مما يدل على أنه كان واعيا بالأحداث التي تحيط بالأمة الإسلامية من الشرق والغرب، ومدركا أهمية الربط بين أحداثهما لتبيان ما لحق بالمسلمين من أذى، وفي نفس الوقت إبراز سبب ضعف المسلمين[٩١]، وكأنها خطة محكمة من فعل فاعل واحد خطط ونفذ، قال رحمه الله: "ولقد بلي الإسلام والمسلمون في هذه المدة بمصائب لم يبتل بها أحد من الأمم، منها هؤلاء التتر، قبحهم الله، أقبلوا من المشرق، ففعلوا الأفعال التي يستعظمها كل من سمع بها، وستراها مشروحة متصلة، إن شاء الله تعالى، ومنها خروج الفرنج، لعنهم الله من المغرب إلى الشام، وقصدهم ديار مصر، وملكهم ثغر دمياط منها، وأشرفت ديار مصر والشام وغيرها على أن يملكوها، لولا لطف الله تعالى ونصره عليهم، وقد ذكرناه سنة أربع عشرة وستمائة. ومنها أن الذي سلم من هاتين الطائفتين فالسيف بينهم مسلول، والفتنة قائمة على ساق: وقد ذكرناه أيضا، فإنا لله وإنا إليه راجعون"[٩٢].

وفي موضع آخر يصف سرعة انتشار التتر ووصولهم إلى أذربيجان والكرج وتفليس وما فعلوه في بلاد المسلمين، ويتعجب من حدوثها بهذه السرعة ويخشى أن لا يصدقه من يأتي من بعده، فيقول: "ولقد جرى لهؤلاء التتر ما لم يسمع بمثله من قديم الزمان وحديثه: طائفة تخرج من حدود الصين لا تنقضي عليهم سنة حتى يصل بعضهم إلى بلاد أرمينية من هذه الناحية، ويجاوزوا العراق من ناحية همذان، وتالله لا شك أن من يجيء بعدنا، إذا بعد العهد، ويرى هذه الحادثة مسطورة ينكرها، ويستبعدها، والحق بيده، فمتى استبعد ذلك فلينظر أننا سطرنا نحن، وكل من جمع التاريخ في أزماننا هذه في وقت كل من فيه يعلم هذه الحادثة، استوى في معرفتها العالم والجاهل لشهرتها، يسر الله للمسلمين والإسلام من يحفظهم ويحوطهم، فلقد دفعوا من العدو إلى عظيم، ومن الملوك المسلمين إلى من لا تتعدى همته بطنه وفرجه، ولم ينل المسلمين أذى وشدة مذ جاء النبي صلى الله عليه وسلم، إلى هذا الوقت مثل ما دفعوا إليه الآن"[٩٣].

ثم يصف تكالب الأعداء على الإسلام والمسلمين من الشرق والغرب، على سعة حدودها وكثرة عددها وعتادها، فيقول: "هذا العدو الكافر التتر قد وطئوا بلاد ما وراء النهر وملكوها وخربوها، وناهيك به سعة بلاد، وتعدت هذه الطائفة منهم النهر إلى خراسان، فملكوها وفعلوا مثل ذلك، ثم إلى الري وبلد الجبل وأذربيجان، وقد اتصلوا بالكرج فغلبوهم على بلادهم. والعدو الآخر

الفرنج قد ظهروا من بلادهم في أقصى بلاد الروم، بين الغرب والشمال، ووصلوا إلى مصر، فملكوا مثل دمياط، وأقاموا فيها، ولم يقدر المسلمين على إزعاجهم عنها، ولا إخراجهم منها، وباقي ديار مصر على خطر، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم"[٩٤].

وكان أسلوب النقد عنده بارزا، حيث وجَّه نقده لحكام دويلات المسلمين آنذاك، كنقده لخوارزم شاه وصاحب تبريز، فوصفه بأنه أعجز خلق الله. قال: "لما فرغ التتر من همذان ساروا إلى أذربيجان، فوصلوا إلى أردويل فملكوها، وقتلوا فيها وأكثروا، وخربوا أكثرها، وساروا منها إلى تبريز، وكان قد قام بأمرها شمس الدين الطغرائي، وجمع كلمة أهلها، وقد فارقها صاحبها أوزبك بن البهلوان، وكان أميرا متخلفا، لا يزال منهمكا في الخمر ليلا ونهارا، يبقى الشهر والشهرين لا يظهر، وإذا سمع هيعة طار مجفلا لها، وله جميع أذربيجان وأران، وهو أعجز خلق الله عن حفظ البلاد من عدو يريدها ويقصدها"[٩٥].

كما نلاحظ أن ابن الأثير كان يمتلك ثروة علمية كبيرة هي ما ساعدته على الكتابة، حيث نلاحظ مفارقات عنده موجودة ووصفة للحدث بوصف في غاية الدقة وتتبعه للأحداث وتعليقه عليها.

وبالنسبة للمصادر التي استقى منها ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م) معلومات فهي عديدة، فالمصادر القديمة فهو تاريخ الطبري وبعض الكتب الأخرى التي لم يفصح عن عناوينها، وأما المصادر المعاصرة له فاعتمد فيها على الرواية عمن يثق فيهم؛ مثل والده أو من هم شهود عيان أو تجار أو عن طريق ناس فارين من الغزو، كما أنه نقل عن بعض الفقهاء، ومن بعض المكاتبات والرسائل التي كان تدور بين الناس، فيقول مثلا: "حكى لي والدي"[٩٦]، أو "وحكى لي بعض أصدقائنا، أو حكى لي بعض أصحابنا"[٩٧]، "وحكى لي من أثق به عن جماعة من فضلاء مصر"[٩٨]، "وحكى لي جماعة من أهل الدين والصلاح"[٩٩]، "حكى لي بعض أصدقائه"[١٠٠]، "حكى لي بعض التجار"[١٠١]، "وحكى لي من يتولى بيع الغنم بالموصل"[١٠٢]، وحكى إنسان من أهلها"[١٠٣]، "حكى لي بعض خدم حجرة النبي"[١٠٤]، "حكى لي طبيب"[١٠٥]، "حكى لي إنسان صوفي"[١٠٦].

الخاتمة

كانت فاجعة التتر وهمجيتهم، من أعظم ما ابتلي به المسلمون، حتى أن الكثير من العلماء أحجموا في البداية عن الكتابة عنها لهول مصيبتها مثل مؤرخنا ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م) الذي بقي سنين عدة معرضا عن ذكرها استعظاما لأمرها، حتى قال: "فيا ليت أمي لم تلدني، ويا ليتني مت قبل حدوثها وكنت نسيا منسيا"، بل جعلها أعظم من فتنة الدجال، ورأي أن الأجيال التي تأتي من بعده ستنكرها وتستبعدها، والحق بيدها، والحمد لله أن ابن الأثير تراجع عن إحجامه وقدم لنا عرضا مليئا بالأحداث المؤلمة وصورة بليغة عن تلك الحقبة كشف فيها عن الأدوار الخفية التي أحاطت بالخلافة والخليفة، وبشاعة الظلم الذي تعرض له المسلمين من إخوانهم ومن أعدائهم، وحجم الخلاف والتنازع الذي وصل إليه حكام المسلمين فيما بينهم حتى أصبح عند بعضهم العدو صديقا، والأخ عدوا والخائن أمينا، وهذا هو السبب الأقوى الذي ساهم في الهزيمة النكراء.

ودراسة مثل هذه الفواجع من خلال كتابات أمينة مثل كتاب ابن الأثير إنما الهدف منها الوقوف على أسبابها وأخذ العبرة من نتائجها، وليس البكاء على أحداثها والبكاء على أطلالها، وما التاريخ إلا سجل محفوظ، والأحداث لا ريب تتكرر مع مرور الزمان حتى قيل: التاريخ يكرر نفسه، والواجب يقتضي موضوعية الدراسة والوقوف عن أحداثها وأخذ العبرة منها.

مجلة دراسات تاريخية
Journal of Historical Studies

الهوامش

[١] هي جزيرة ذات شأن في زمانها، ويمكن الوصول إليها من الموصل إلى زاو بطريق من الطرق التاريخية المشهورة فهو يمر من زاخو، ويمر من فتحة جبلية إلى جزيرة ابن عمر، وكانت للجزيرة تجارات متنوعة من اللوز والجوز والسمن والخيل، قال الحموي: "بلدة فوق الموصل، بينهما ثلاثة أيام، ولها رستاق مخصب واسع الخيرات، وأحسب أن أوّل من عمّرها الحسن بن عمر بن خطّاب التغلبي، وكانت له امرأة بالجزيرة، وذكر قرابة سنة ٢٥٠ وهذه الجزيرة تحيط بها دجلة إلا من ناحية واحدة شبه الهلال، ثم عمل هناك خندق أجري فيه الماء ونصبت عليه رحى فأحاط بها الماء من جميع جوانبها بهذا الخندق". الحموي، ياقوت بن عبد الله الرومي (ت ٦٢٦هـ). معجم البلدان. دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م، ج٢، ص ١٣٨. وانظر: فرنسيس، بشير يوسف. موسوعة المدن والمواقع. أي كتب، لندن، ط١، ٢٠١٧ م، ص ٢٦٩.

[٢] ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي (ت ٦٨١هـ). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٤م، ج٣، ص ٣٤٨-٣٤٩.

[٣] الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م). سير أعلام النبلاء. تحقيق: بشار عواد ومحي هلال، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ج٢٢، ص ٣٥٤-٣٥٥.

[٤] سميساني، حسن. أعلام مؤرخي العرب والإسلام، عز الدين بن الأثير الجزري. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٠م، ج١، ص ٤٢ – ٤٣.

[٥] الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد الدمشقي. الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين. دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط١٥، ٢٠٠٢ م، ج٤، ص ٣٣١-٣٣٢.

[٦] الذهبي. سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج ٢٢، ص ٣٥٤.

[٧] العسل، عصام. السيرة الذاتية مقاربات في المنهج. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٠ م، ص٨٠.

[٨] ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الجزري (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م). الكامل في التاريخ. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ج١، ص٥-٦.

[٩] المصدر نفسه، ج١، ص ٦-٧.

[١٠] ابن الأثير. الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ج ١٠، ص ٤٤٥.

[١١] المصدر نفسه، ج ١٠، ص ٤٤٢-٤٥٣.

[١٢] المصدر نفسه، ج١، ص ٨.

[١٣] سميساني. أعلام مؤرخي العرب والإسلام عز الدين بن الأثير الجزري، مصدر سابق، ص ٦٠ – ٦١.

[١٤] ابن الأثير. الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ج١، ص٨-٩.

[١٥] العلي، عبد السلام ذنون. المغول واحتلال بغداد سنة ٦٥٦ هـ/١٢٥٨م دراسة في التاريخ العسكري. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٧ م، ص ١١.

[١٦] جنكيز خان كما ذكره الذهبي هو ملك التتار وسلطانهم الأول الذي خرب البلاد، وأفنى العباد، واستولى على الممالك، وليس للتتار ذكر قبله، إنما كانت طوائف المغول بادية بأراضي الصين، فقدموه عليهم فهزم جيوش الخطا، واستولى على ممالكهم ثم على ترسكتان، وإقليم ما وراء النهر، ثم إقليم خراسان وبلاد الجبل وغيرها، وأذعنت بطاعته جميع التتار، وأطاعوه في كل شيء، مات في رمضان سنة ٦٢٤هـ. انظر: الذهبي. سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج٢٢، ص ٢٤٣.

[١٧] العلي. المغول واحتلال بغداد سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨ م دراسة في التاريخ العسكري، مرجع سابق، ص ٢٦.

[١٨] النجار، رغد عبد الكريم. إمبراطورية المغول، دراسة تحليلية عن التاريخ المبكر للمغول وتكوين الإمبراطورية والصراعات السياسية على السلطة. دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١، ٢٠١٢م، ص ٣٩.

[١٩] العلي. المغول واحتلال بغداد سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨ م، دراسة في التاريخ العسكري، مرجع سابق، ص ٢٤.

[٢٠] ابن الأثير. الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ج١٠، ص ٣٣٥.

[٢١] الزيدي، مفيد. المؤرخ ابن الأثير الجزري وتدوينه للغزو التتري. المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، بغداد، العراق، المجلد الأول ع ١٨، العدد ١٩٩٩ م، ص ٢٣١.

[٢٢] ابن الأثير. الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ج١٠، ص ٣٣٣.

[٢٣] ابن الأثير. الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ج١٠، ص ٣٣٣-٣٣٤.

[٢٤] ابن الأثير. الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ج١٠، ص ٣٣٤.

[٢٥] مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن، كثيرة الفواكه وكثيرة الخيرات، بينها وبين نيسابور مائة وستون فرسخا، وقد حكى الأصطحري أنها كانت أكبر من أصبهان، ثم قال: الري مدينة ليس بعد بغداد في الشرق أكبر منها. انظر: الحموي. معجم البلدان، مصدر سابق، ج٣، ص ١١٦-١١٧.

[٢٦] مدينة مشهورة من مدن الجبال، قيل بناها همذان بن فلوج بن سام بن نوح عليه السلام، وذكر علماء الفرس بأنها أكبر مدينة بأرض الجبال، وهي مدينة عظيمة لها رقعة واقعة وهواء لطيف وماء عذب وتربة طيبة. انظر: القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ). آثار البلاد وأخبار العباد. دار صادر، بيروت، لبنان، ط٣، ٢٠١١م ص ٤٨٣.

[٢٧] ابن الأثير. الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ج ١٠، ص ٣٣٤.

[٢٨] مسعود، سارة. عصر بركة خان سلطان مغول القنفحاق. دار الخليج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٢٠م، ص ١٣ – ١٤.

[٢٩] الملطي، غريغوريوس. تاريخ مختصر الدول. دار الشرق، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٩٢م، ص٣.

[٣٠] ابن الأثير. الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ج ١٠، ص ٣٣٥.

[٣١] الري: وصفها الإدريسي بأنها مدينة كبيرة عامرة بالأسواق والتجارات الكثيرة والبضائع العديدة، وأبنية المدينة مبنية من الطين والآجر، ولها سور وأبواب كثيرة. انظر: الشريف الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس (ت٥٦٠هـ/١١٦٥م). نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٤٠٩هـ، ج ٢، ص٦٧٣.

[٣٢] همذان: فتحها المغيرة بن شعبة عام ٢٤هـ. انظر: ابن فقية، أحمد. كتاب البلدان. تحقيق يوسف هادي، بيروت، لبنان، دار صادر، ط١، ١٩٩٦م، ص٤٥٩.

[٣٣] ابن الأثير. الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ج ١٢، ص ١٨٠-٢٤٤.

[٣٤] المصدر نفسه، ج١٢، ص ١٨١.

[٣٥] يقال لها بالعربية سمران، بلد معروف مشهور، قيل إنه من أبنية ذي القرنين فيما وراء النهر، وهو قصبة الصغد مبنية على جنوب وادي الصغد، مرتفعة عليه. انظر: الحموي. معجم البلدان، مصدر سابق، ج ٣، ص ٢٤٦.

[٣٦] من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلها، بينها وبين جيحون يومان، كانت قاعدة ملك السامانية، بينها وبين سمرقند سبع أيام أو ثلاثة وثلاثون فرسخ، وبينها وبين خوارزم أكثر من خمسة عشر يوما. انظر: الحموي. معجم البلدان، مصدر سابق، ج ١، ص ٣٥٣.

[٣٧] ابن الأثير. الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ج ١٠، ص ٢٩٩.

[٣٨] البهيجي، إيناس. تاريخ المغول وغزو الدولة الإسلامية. مركز الكتاب الأكاديمي، د.ب، ط ١، ٢٠١٧م، ص١٨١.

[٣٩] صبرة، عفاف سيد. التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية. دار الكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٨٧م، ص ٣٥-٣٦.

مجلة دراسات تاريخية
Journal of Historical Studies

[٤٠] حسنين، عبد النعيم محمد. إيران والعراق في العصر السلجوقي. دار الكتب الإسلامية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٢م، ص ١٢٣. وللتوسع في صراعات اتسز من أجل تحقيق الاستقلال خاصة مع سنجر وال السلاجقة، انظر: صبرة، التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية، مرجع سابق، ص ٣٨-٤٧.

[٤١] قال ابن الأثير في سبب وفاته: "في هذه السنة (٥٥١هـ) تاسع جمادى الآخرة توفي خوارزم شاه أتسز بن محمد بن أنوشتكين، وكان قد أصابه فالج، فتعالج منه فلم يبرأ، فاستعمل أدوية شديدة الحرارة بغير أمر الأطباء، فاشتد مرضه، وضعفت قوته، فتوفي. وكان يقول عند الموت: ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٨ - ٢٩]". ابن الأثير. الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ج ٩، ص ٢٢٩.

[٤٢] انظر: صبرة. التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية، مرجع سابق، ص ٤٨-٥٠.

[٤٣] السلطان الكبير، علاء الدين، خوارزمشاه محمد ابن السلطان خوارزمشاه إيل رسلان ابن خوارزمشاه أتسز ابن الأمير محمد بن نوشتكين الخوارزمي، وينتهي نسبه إلى إيلتكين مملوك السلطان ألب أرسلان بن جغريبك السلجوقي. انظر: الذهبي. سير أعلام النبلاء. مصدر سابق، ج ٢٢، ص ١٣٩. ابن تغري بردي، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري (ت ٨٧٤هـ/١٤٧٠م). النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر، د.ط، د.ت، ج٦، ص ١٥٥، ١٥٩.

[٤٤] خصص ابن الأثير فقرة طويلة من كتابه لذكر مناقبه ومنوها بخصاله، فقال: "هو علاء الدين محمد بن علاء الدين تكش، وكان مدة ملكه إحدى وعشرين سنة وشهورا تقريبا، واتسع ملكه، وعظم محله، وأطاعه العالم بأسره، ولم يملك بعد السلجوقية أحد مثل ملكه، فإنه ملك من حد العراق إلى تركستان، وملك بلاد غزنة، وبعض الهند، وملك سجستان، وكرمان، وطبرستان، وجرجان، وبلاد الجبال، وخراسان، وبعض فارس، وفعل بالخطا الأفاعيل العظيمة، وملك بلادهم. وكان فاضلا، عالما بالفقه والأصول وغيرهما، وكان مكرما للعلماء محبا لهم محسنا إليهم، يكثر مجالستهم ومناظراتهم بين يديه، وكان صبورا على التعب وإدمان السير، غير متنعم، ولا مقبل على اللذات، إنما همه في الملك وتدبيره، وحفظه وحفظ رعاياه، وكان معظما لأهل الدين، مقبلا عليهم، متبركا بهم". ثم ذكر قصة حكاها له بعض خدم حجرة النبي، صلى الله عليه وسلم، وقد عاد من خراسان، وكيف استقبله علاء الدين محمد وأجلسه إلى جانبه، وأخذ يد الخادم، وأمرّها على وجهه ثم ختمها بقوله: "... وبالجملة فاجتمع فيه ما تفرق في غيره من ملوك العالم، رحمه الله، ولو أردنا ذكر مناقبه لطال ذلك". ابن الأثير. الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ج ١٠، ص ٣٤٣-٣٤٤.

[٤٥] الدولة الغورية هي إحدى الإمارات الإسلامية التي أصبحت دولة مستقلة عن الخلافة العباسية وتأسست كدولة سنة٥٤٣هـ/١١٤٨م، على يد عز الدين حسين (٥٤٣هـ/١١٤٨م)، ثم توسعت في عهد أبنائه وكثر جندها، واستقر سلطانها، خاصة في عهد السلطان غياث الدين، الذي اعترف به الخليفة العباسي الناصر لدين الله (٥٧٥-٦٢٢هـ/١١٧٩-١٢٢٥م). للتوسع انظر: ابن الأثير. الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ج ٩، ص ١٩١ وما بعدها؛ سلطان، طارق فتحي. نشأة الإمارة الغورية ٤٣٠هـ/١١٤٨م، مجلة أفاق الثقافة والتراث/ جامعة الموصل، السنة ١٤، العدد ٥٤، جمادي الآخرة ١٤٢٧هـ/يوليو ٢٠٠٦م.

[٤٦] الدولة القراخطائية (٥٤٨-٦٠٨هـ /١١٣٤-١٢١١م) أو الخطا، خيتاى، كيتاى، قبائل خليط من العنصر الترك والمغول المنتشرة شمال شرق الصين، ونزحت إلى تركستان بعد انهيار دولتهم في الصين، وسيطروا على بلاد ما وراء النهر، وقضى على وجودها خوارزم شاه محمد في حرب سجال بين (٦٠٤-٦٠٨هـ)، للتوسع

انظر: ابن الأثير. الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ج ٩، ص ١١٥، وما بعدها؛ الطائي، سعاد هادي حسن. الصراع السياسي والعسكري بين دولة الخطا والإمارتين الخوارزمية والغورية خلال العصر العباسي (٥٥٣-٦٠٢هـ/١١٥٨-١٢٠٥م). مجلة كلية التربية/الجامعة المستنصرية، العدد ٤، يوليو ٢٠٠٧.

[٤٧] ابن الأثير. الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ج ١٠، ص ٢٨٧.

[٤٨] مسعود. عصر بركة خان سلطان مغول القمجاق، مرجع سابق، ص ١٣٧.

[٤٩] انظر: صبرة. التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية، مرجع سابق، ص ١٣٧-١٤٠.

[٥٠] ابن الأثير. الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ج ١٠، ص ٢٩٩.

[٥١] المصدر نفسه، ج ١٠، ص ١٣٧.

[٥٢] هي مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن وأعيانها، وأصبهان اسم للإقليم بأسره، وهي من نواحي الجبل، ولهم في تسميتها بهذا الاسم خلاف. انظر: الحموي. معجم البلدان، مصدر سابق، ج١، ص ٢٠٠.

[٥٣] انظر: صبرة، التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية، مرجع سابق، ص ٨٥.

[٥٤] ابن الأثير. الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ج ١٠، ص ١٣٢.

[٥٥] ابن الأثير. الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ج ١٠، ص ٣٠٠.

[٥٦] مسعود. عصر بركة خان سلطان المغول القفجاق، مرجع سابق ص ١٣٧.

[٥٧] ابن الأثير. الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ج ١٠، ص ٣٨٩-٣٩٠.

[٥٨] المصدر نفسه، ص٣٩٠.

[٥٩] سبط ابن الجوزي، يوسف بن قِزْأُوغلي بن عبد الله (ت ٦٥٤هـ/١٢٥٦م). مرآة الزمان في تواريخ الأعيان. تحقيق: محمد بركات، وآخرون، دار الرسالة العالمية، دمشق، سوريا، ط١، ١٤٣٤ هـ/٢٠١٣م، ج٢٢، ص٢٧٣.

[٦٠] العودة، سليمان. كيف دخل التتار بلاد المسلمين. الرياض، السعودية، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٣، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

[٦١] المرجع نفسه، ص ٢٢ – ٢٣.

[٦٢] العلي: المغول واحتلال بغداد سنة ٦٥٦ هـ/١٢٥٨م، مرجع سابق، ص ٣٤.

[٦٣] ابن الأثير. الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ج ١٠، ص ٣٣٦-٣٣٧.

[٦٤] العلي. المغول واحتلال بغداد سنة ٦٥٦ هـ/١٢٥٨م، مرجع سابق، ص ٣٣ – ٣٤.

[٦٥] السرجاني، راغب. قصة التتار من البداية إلى عين جالوت. مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، ط ١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص ٢٢.

[٦٦] العلي. المغول واحتلال بغداد سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م، دراسة في التاريخ العسكري، مرجع سابق، ص٣٤.

[٦٧] المرجع نفسه، ص ٣٤.

[٦٨] ابن الأثير. الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ج ١٠، ص ٣٣٦.

[٦٩] العودة. كيف دخل التتار بلاد المسلمين، مرجع سابق، ص ٢٢ – ٢٣.

[٧٠] ابن الأثير. الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ج ١٠، ص ٣٣٦.

[٧١] المصدر نفسه، ص ٤٠٠-٤٠١.

مجلة دراسات تاريخية
Journal of Historical Studies

[٧٢] الزيدي. المؤرخ ابن الأثير الجزري وتدوينه الغزو التتري للمشرق الإسلامي، مصدر سابق، ص ٢٣٠.
[٧٣] ابن الأثير. الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ج ١٠، ص ٣٣٣.
[٧٤] الذهبي. سير أعلام النبلاء. مصدر سابق، ص ٢٢، ص ٢٣١.
[٧٥] الزيدي. المؤرخ ابن الأثير الجزري وتدوينه الغزو التتري للمشرق الإسلامي، مرجع سابق، ص ٢٢٩.
[٧٦] العودة. كيف دخل التتار بلاد المسلمين، مرجع سابق، ص ٢٥.
[٧٧] الزيدي. المؤرخ ابن الأثير الجزري وتدوينه الغزو التتري للمشرق الإسلامي، مرجع سابق، ص ٢٢٩.
[٧٨] ابن الأثير. الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ج ١٠، ص ٣٣٧.
[٧٩] مرجونة، إبراهيم. المغول في العالم الإسلامي دراسة سياسية وحضارية ٦٥٦ – ٧٣٥هـ. دار التعليم الجامعي، الإسكندرية، مصر، د. ط، د. ت، ص ٤٥.
[٨٠] ابن الأثير. الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ج ١٠، ص ٣٣٤-٣٣٥.
[٨١] المصدر نفسه، ج ١٠، ص ٣٣٥.
[٨٢] الزيدي، المؤرخ ابن الأثير الجزري وتدوينه للغزو التتري للمشرق الإسلامي، مرجع سابق، ص ٢٣٤.
[٨٣] البهيجي، إيناس. تاريخ المغول وغزو الدولة الإسلامية. مرجع سابق، ص ١٨١.
[٨٤] ابن الأثير. الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ج١٠، ص ٣٣٥.
[٨٥] ابن الأثير. الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ج ١٠، ص ٣٤١.
[٨٦] ابن الأثير. الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ج١٠، ص ٣٤٢.
[٨٧] المصدر السابق، ج١٠، ص ٣٤٧.
[٨٨] مرجونة: المغول في العالم الإسلامي، دراسة سياسية وحضارية ٦٥٦ – ٧٣٥هـ، مرجع سابق ص٢٠.
[٨٩] ابن الأثير. الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ج ١٠، ص ٣٤٠.
[٩٠] ابن الأثير. الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ج ١٠، ص ٣٤١ – ٣٦٤.
[٩١] الزيدي. المؤرخ ابن الأثير الجزري وتدوينه الغزو التتري للمشرق الإسلامي، مرجع سابق، ص ٢٣٩.
[٩٢] ابن الأثير. الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ج ١٠، ص ٣٣٥.
[٩٣] المصدر نفسه، ج ١٠، ص ٣٤٦-٣٤٧.
[٩٤] ابن الأثير. الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ج ١٠، ص ٣٤٧.
[٩٥] المصدر نفسه، ج ١٠ ص ٣٥١-٣٥٢.
[٩٦] ابن الأثير. الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ج٨، ص٧٠٤، ج ٩، ص ١٤٢، ٣١٤، ٣٢٢.
[٩٧] المصدر نفسه، ج٩، ص٣٤٣، ج١٠، ص ١٠٨.
[٩٨] المصدر نفسه، ج٨، ص ٢٦١.
[٩٩] المصدر نفسه، ج٩، ١٣٣.
[١٠٠] المصدر نفسه، ج١٠، ص ٤٠٧.
[١٠١] المصدر نفسه، ج١٠، ص ٤٤٨.
[١٠٢] ابن الأثير. الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ج١٠، ص ٤٢٦.
[١٠٣] المصدر نفسه، ج١٠، ص ٤٤٩.

[١٠٤] المصدر نفسه، ج١٠، ص٣٤٣.

[١٠٥] المصدر نفسه، ج٩، ص٣٩٣.

[١٠٦] المصدر نفسه، ج٩، ص٣١٢.

المصادر والمراجع

١. ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الجزري (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م). **الكامل في التاريخ**. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٧م.

٢. ابن تغري بردي، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري (ت ٨٧٤هـ/١٤٧٠م). **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**. وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر، د.ط، د.ت.

٣. ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م). **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**. تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٤م.

٤. البهيجي، إيناس. **تاريخ المغول وغزو الدولة الإسلامية**. مركز الكتاب الأكاديمي، د.ب، ط ١، ٢٠١٧م.

٥. حسنين، عبد النعيم محمد. **إيران والعراق في العصر السلجوقي**. دار الكتب الإسلامية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٢م.

٦. الحموي، ياقوت بن عبد الله الرومي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م). **معجم البلدان**. دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م.

٧. الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م). **سير أعلام النبلاء**. تحقيق: بشار عواد ومحي هلال، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة للنشر، ط٣، ١٩٨٥م.

٨. الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد الدمشقي. **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**. دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط١٥، ٢٠٠٢م.

٩. الزيدي، مفيد. **المؤرخ ابن الأثير الجزري وتدوينه للغزو التتري**. المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، بغداد، العراق، المجلد الأول ع ١٨، العدد ١٩٩٩م.

١٠. سبط ابن الجوزي، يوسف بن قِزْأُوغلي بن عبد الله (ت٦٥٤هـ/١٢٥٦م). **مرآة الزمان في تواريخ الأعيان**. تحقيق: محمد بركات، وآخرون، دار الرسالة العالمية، دمشق، سوريا، ط١، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.
١١. السرجاني، راغب. **قصة التتار من البداية إلى عين جالوت**. مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، ط ١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
١٢. سلطان، طارق فتحي. **نشأة الإمارة الغورية ٤٣٠هـ/١١٤٨م**، مجلة أفاق الثقافة والتراث/ جامعة الموصل، السنة١٤، العدد٥٤، جمادي الآخرة ١٤٢٧هـ/يوليو ٢٠٠٦م.
١٣. سميساني، حسن. **أعلام مؤرخي العرب والإسلام، عز الدين بن الأثير الجزري**. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٠م.
١٤. الشريف الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس (ت ٥٦٠هـ/١١٦٥م). **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، بيروت، لبنان، عالم الكتب، ط١، ١٩٨٨م.
١٥. صبرة، عفاف سيد. **التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية**. دار الكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٨٧م.
١٦. الطائي، سعاد هادي حسن. **الصراع السياسي والعسكري بين دولة الخطا والإمارتين الخوارزمية والغورية خلال العصر العباسي (٥٥٣-٦٠٢هـ/١١٥٨-١٢٠٥م)**. مجلة كلية التربية/الجامعة المستنصرية، العدد ٤، يوليو ٢٠٠٧.
١٧. العسل، عصام. **السيرة الذاتية مقاربات في المنهج**. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٠م.
١٨. العلي، عبد السلام ذنون. **المغول واحتلال بغداد سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م دراسة في التاريخ العسكري**. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٧م.
١٩. العودة، سليمان. **كيف دخل التتار بلاد المسلمين**. الرياض، السعودية، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٣، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
٢٠. فرنسيس، بشير يوسف. **موسوعة المدن والمواقع**. أي كتب، لندن، ط١، ٢٠١٧ م.
٢١. القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت٦٨٢هـ/١٢٨٣م). **آثار البلاد وأخبار العباد**. دار صادر، بيروت، لبنان، ط٣، ٢٠١١م.
٢٢. مرجونة، إبراهيم. **المغول في العالم الإسلامي دراسة سياسية وحضارية ٦٥٦ – ٧٣٥هـ**. دار التعليم الجامعي، الإسكندرية، مصر، د. ط، د. ت.

٢٣. مسعود، سارة. **عصر بركة خان سلطان مغول القنفحاق**. دار الخليج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٢٠م.
٢٤. الملطي، غريغوريوس. **تاريخ مختصر الدول**. دار الشرق، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٩٢م.
٢٥. النجار، رغد عبد الكريم. **إمبراطورية المغول، دراسة تحليلية عن التاريخ المبكر للمغول وتكوين الإمبراطورية والصراعات السياسية على السلطة**. دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

مجلة دراسات تاريخية
Journal of Historical Studies